الفصل الحادي والثلاثون

نظرة عامة

مملكة غرناطة — مدينة غرناطة — الحمراء — الزهراء — الفنون والعلوم فى غرناطة — الملابس — نظرة عامة فى أسبانيا تحت حكم العرب — الحكومة — الإدارة — الحالة الاقتصادية — الصناعة — الزراعة — الفنون الجميلة — العلم — مركز النساء — الأديبات والمثقفات — الملاهى

مملكة غرناطة

كانت مملكة غرناطة تتألف من القسم الواقع فى الركن الجنوبى الشرقى من الجزيرة ؛ ولم تكن مساحتها وهى فى أزهى عصورها لتزيد على السبعين فرسخا طولا من الشرق إلى الغرب ، وخمسة وعشرين فرسخاً عرضاً من الشمال إلى الجنوب . وفى داخل هذه الرقعة الضيقة كانت غرناطة تجمع مختلف المصادر الطبيعية التى قد تحتاجها إمبراطورية عظيمة الشأن ، فكانت تتخلل وديانها الفسيحة الأرجاء جبال غنية بالمعادن ، كما كان سكانها يزودون الدولة بالفلاحين والجنود ذوى السواعد القوية والبأس الشديد ، وكان يخترق مروجها جداول المياه الصافية ، وتزين سواحلها عدد كبير من الثغور التى كانت تعد أعظم أسواق البحر الأبيض المتوسط على وجه الإطلاق ، وكانت مدنها تبلغ الثلاثين عداً ، وقصباتها الثمانين ، وجميعها محصنة أقوى تحصين ، أما القرى فكان يبلغ عددها بضعة آلاف ؛ وكان وادى القوطة وغرناطة الذى يسمى الآن « الفيكاد كرافادة » مسرحا لأروع ضروب الكفاح ، ومع ذلك لم تكن رقعته لتزيد على الثلاثين فرسخاً ، وكان يشقه نهرا « شينيل[1] » و « الدورو[2] » ، وثلاثة أنهر أخرى

---

(١) ويسمى أيضاً شنجيل .

(٢) وهو نهر الحمارة الذى كتب عنه ابن الخطيب ويسميه الرومان بنهر صالون .

تنبع من جبال شولير بجوار (سيرانيفادة) ، وكان ذلك الوادى يزخر بالأحراش النضرة والقصور المنيفة الذرى ، والدور الجميلة و بساتين الكروم والزهور والحقول الدائمة الاخضرار تحيط بها الحدائق الفيحاء . وقد وجه العرب جهدهم لاستغلال وادى الفيحاء ودرسوا صلاحية التربة للنباتات ، ووزعوا مياه نهر الشنيل والدورو فى جداول لا حصر لها ؛ وضمنوا الحصول على الفواكه والغلال طوال أيام السنة ونجحوا أيما نجاح فى زرع نبات المناطق الحارة ، كما كانوا يصدرون كميات عظيمة من الحرير والكتان من الميرة ومالقة إلى المدن الإيطالية التى بدأت تنتعش منذ ذلك الحين ، وكانت مصنوعات غرناطة كثيرة منوعة ، وعرفت كل مدينة بصناعة خاصة ، وكانت ثغور « مملكة بنى الأحمر » تضم دائما أكبر عدد من السفن الأوروبية حتى أصبحت العاصمة بصفة كونها أكبر مركز للنشاط التجارى مدينة أممية . واشتهر أهل غرناطة بالأمانة والصدق فى المعاملة . وأصبحت كلمتهم مضرب الأمثال فى الأمانة والوفاء ؛ وكانوا يصدرون علاوة على تلك المنسوجات والمعادن الثمينة كميات كبيرة من المنتوجات الخام ، وبالأخص الحرير والقنب اللذين كانت فلورنسا تستورد منهما أكبر كمية من ثغرى الميرة ومالقة .

كانت غرناطة تبدو شامخة كالبرج فى وسط الغوطة فيمتد قسم منها كما لا يزال يمتد إلى الآن فى أحشاء وادى فيغا ، ثم يتدرج القسم الآخر على سفح التلال التى شيدت عليها عدة ضواح ريفية ، وكان نهر الدورو بعد أن يزود القصور والأسواق والطواحين والحمامات بالأمواه الكافية ينساب فى السهل الفسيح .

وفى عهد « بنى ناصر » كانت غرناطة يحيط بها سور متين به اثنا عشر بابا ويعلوه ١٠٣٠ برجا ، وكانت قصور المدينة مزينة بحدائق مسوجة بالعرائش ، وزاخرة بأشجار الفاكهة كالبرتقال والليمون والطرنج والآس واللوز ، والخمائل الناضرة ذات الشذا العطرى ؛ وفوق ذلك كان ينساب فى المنازل غدران صافية

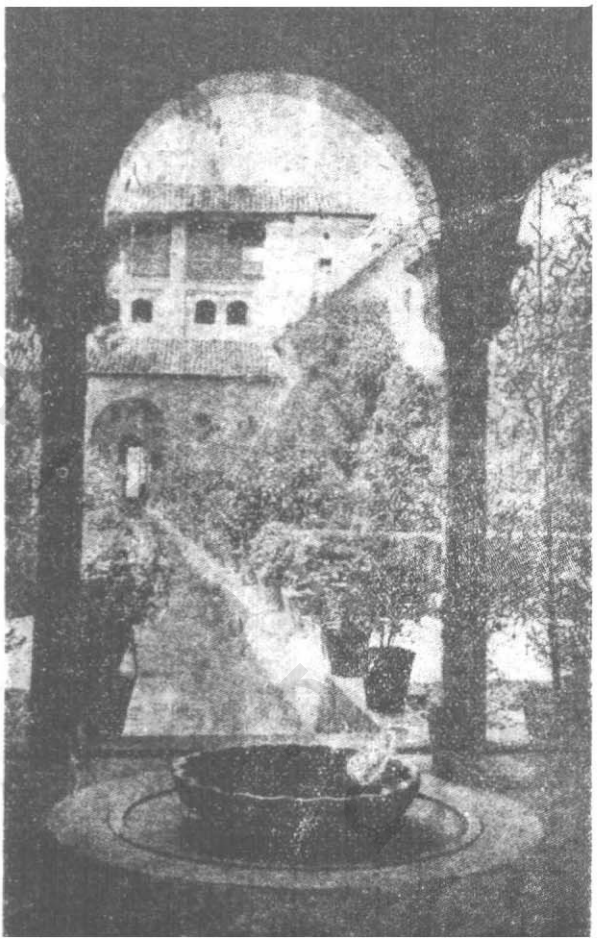

غرناطة — حدائق جنة العريف

ويتوسط الشوارع النوافير الجميلة التى ينبثق منها الماء ، فتبعث فى النفس غبطة وفرحا عظيمين . أما المنازل فكانت بالغة حد الروعة والإبداع الهندسى ، وبلغ عدد سكان المدينة فى منتصف القرن الخامس عشر زهاء أربعمائة ألف نسمة .

وكانت تقع على قمة أحد التلال مقابل غرناطة قلعة ابن الأحمر أو المدينة الحمراء ، التى كانت تستوعب مساحتها أربعين ألف شخص ، ومن الصعوبة بمكان أن نوفى الآن هذا العمل الذى سمى بعمل الجن حقه من الوصف والإبداع

إذ أن القلاع والحصون والقصور بفنها المعمارى الدقيق وأروقتها وأعمدتها الفخمة ، وقبيها وسقوفها ذات الزخرفة والنقوش البديعة التى لم تفقد شيئاً من رونقها الأصلى إلى الآن ، وأبهائها الهوائية المشيدة ليمر بها النسيم المعطر بشذا الورد ؛ والبرك التى أحكم المهندسون تشييدها فأصبح انبثاق الماء فيها تابعاً لإرادة الإنسان ، إن أراد رفعه وإن أراد أنزله من علو شاهق فى أشكال هندسية بديعة ، كذلك كانت الأبنية المنقوشة بالأصباغ والمزدانة بالفسيفساء على أجمل صنع وأتم إتقان فتنعكس عليها الأضواء والألوان ، منها الذهبى والقرمزى والأزرق والأرجوانى ؛ ومختلف التماثيل وبهو السباع المشتمل على ١٢٨ عموداً فخماً ، وأرصفتها البيضاء والزرقاء ، وتناسق الألوان القرمزية والذهبية وتماثيل السباع[1] التى يجرى الماء من أفواهها ، والبركة المرمرية[2] ، وإيوان الموسيقى البديع حيث كان يجلس الأمير ورجال بلاطه يستمعون إلى عزف الموسيقى الشجية ، وانسجام النغمات فى الألحان الجميلة ؛ وسراى الحريم البهجة بمشبكاتها النحاسية الفاخرة وسقوفها البديعة ، والأشكال الزخرفية والتصاوير والزخارف البارزة ، والتماثيل الناطقة ،

---

(١) جاء فى نفح الطيب ج ١ ص ٢٣٣ أن لابن حمديس الشاعر الأندلسى قصيدة يصف بها بركة هذا القصر وخروج الماء من أفواه الأسود قال منها :

وضراغم سكنت عرين رياسة ... تركت خرير الماء فيه زئيرا
فكأنما غشى النضار جسومها ... وأذاب فى أفواهها البلورا
أسد كأن سكونها متحرك ... فى النفس لو وجدت هناك مثيرا
وتفكرت فتكاتها فكأنما ... أقعت على أدبارها لتثورا
وتخالها والشمس تجلو لونها ... ناراً وألسنها اللواحس نورا
فكأنما سلت سيوف جداول ... ذابت بلا نار فعدت غديرا
وكأنما نسج النسيم لمائه ... درعاً فقدر سردها تقديرا

(المعرب)

(٢) جاء فى سراج الملوك ص ٥٠ ما يلى : « وكان من عجائبه أنه صنع فيه بركة ماء كأنها بحيرة ، وبنى فى وسطها قبة وساق الماء تحت الأرض حتى علا فوق رأس القبة بتدبير أحكمه المهندسون فكان الماء ينزل من أعلى القبة وحواليها محيطاً بها متصلا بعضه ببعض فكانت القبة فى غلال من ماء سكباً لا يفتر » . (المعرب)

وأحواض الرخام التى تمتاز بعمق الرسوم وما تحدثه من بديع الأثر ، والحشوات الخشبية الصغيرة المصنوعة فى غاية الدقة والجمال ، كل ذلك يحتاج إلى قلم فنان ليوفيه حقه من التصوير والإبداع . كذلك شيد على حدود الجبل مقابل «الحمراء» القصر الملكى المعروف «بالجامع العارف» ؛ وهو كقصر الحمراء تكتنفه الأسوار المتينة ، وإذا جاز لنا أن نستعمل عبارة أحد الكتاب المشهورين ، فنقول إنه تحفة فنية جميلة تتخلله البرك والأحراش والأزهار ، وإن لم يبق إلا القليل من أدواحها الباسقة كشجر السرو والآس ؛ وكان فى البساتين شرف تهبط درجات يتخللها مجار تنبعث من قمة الجبال ، ثم تؤلف شلالات عديدة تختفى بين الأشجار والأعشاب المزدهرة .

الجامع العارف

وكان أمراء غرناطة وخلفاء قرطبة يتسابقون فى تشجيع العلم وحماية العلماء وتشييد المبانى العامة ، فأصبحت غرناطة فى عهدهم موئل العلماء الأعلام والشعراء الأفذاذ والجنود الأبطال ، وبالإجمال أصبحت مثابة لأولئك الذين يستحقون أن يكونوا مثلا أعلى فى كافة مناحى الحياة .

العلوم والفنون

ولم تكن فتياتها أقل شهرة فى الأدب من رجالها ، ومنهن زينب وحمدة وحفصة والقلاية ومارية اللواتى أكسبن بلادهن وموطن رأسهن شهرة لا تمحوها الأيام . ولم يتقدم الأدب وحده فى عهد الملوك العرب ، بل ازدهرت أيضاً ضروب العلم والتاريخ والجغرافية والفلسفة والفلك والطب والموسيقى ؛ وقد كانت توكل إدارة الجامعة إلى رئيس ينتخبه الأساتذة الممتازون ؛ وفى منتصف القرن الثالث عشر أسند منصب رئاسة جامعة غرناطة إلى سراج الدين أبى جعفر عمر الحكمى ، ولم يكن يراعى دين معين فى تعيين الأساتذة والمحاضرين ، إذ كثيراً ما كان يسند هذا المنصب إلى علماء من اليهود والمسيحيين .

النساء المثقفات

وقد جرت العادة فى الجامعات العربية الأسبانية أن تعقد احتفالات سنوية ودورية يدعى إليها الجمهور ، ويلقى فيها أساتذة الجامعة الخطب والقصائد .

الفتوة أو البطولة

لما سقطت قرطبة تحولت حركة البطولة إلى غرناطة حيث ازدهرت ووصلت إلى منتهى ذروتها ؛ وكانت النساء كما كن فى عاصمة الخلفاء العباسيين يتمتعن بمركز سام فى الهيئة الاجتماعية ويغشين مجتمعات الرجال فيكسبنها روعة وبهاء ، كما كان حضورهن فى سائر الاجتماعات يدخل البهجة والسرور على قلوب الغرناطيين ، وتعزى روح الفتوة التى عرف بها عرب غرناطة إلى نفوذ المرأة ، فقد كان العربى الذى ينتظم فى صفوف الجيش أو يسير إلى حومة الوغى يرسم على ساعده قلباً أدمته سهام (الحب) أو نجماً يرشد السفين ، أو أول حرف من اسم حبيبته . وكان الفرسان يقدرون أيما تقدير الانتصار الذى يحرزونه فى ميدان البطولة بمرأى ومسمع من النساء اللواتى كن يشتركن معهم فى الرقص فى معظم الأحيان ؛ ويقال إنهن كن مشهورات بالقسامة والرشاقة وحدة الذكاء وطلاوة الحديث ، وكانت ملابسهن تتألف من الأثواب الغالية المصنوعة من الحرير أو الكتان أو القطن ، ويتألف أيضاً من الخزام والمنديل ، وفوق ذلك كان لهن ميل خاص إلى العطور بشذا الزهور . وكانت نساء الطبقة الراقية مغرمات بتزيين أنفسهن بالخزامى والزبرجد والزمرد والجواهر الثمينة الأخرى والحلى الذهبية والأحجار الكريمة ، وهكذا كنت تبصرهن فى أيام الجمعة كأنهن الأزهار المفتحة فى المروج الخضراء .

لباس الرأس للرجال

وقد أقصيت العمامة من لباس الجنود فى الأندلس منذ زمن طويل ، أما زى أهل بلنسية ، ولا سيما شرقى الأندلس ، فالغالب عليهم ترك العمائم وكثيراً ما كان سلاطينهم وقضاتهم يتزيون بزى النصارى . ويقول كاتب معاصر[1] إن عالماً مشهوراً بمرسيه دخل فى ذات يوم على السلطان وهو حاسر الرأس ، ويقول أيضاً : « إن ابن هود وابن الأحمر كانا بدون عمامة » .

كان القضاة فى المناطق الغربية كقرطبة وأشبيلية يلبسون العمائم ، « وهذه

(١) اسمه ابن سعيد وهو معاصر لابن الأحمر .

الأوضاع التى بالمشرق فى العمائم لا يعرفها أهل الأندلس ، وإن رأوا فى رأس مشرق داخل إلى بلادهم شكلا منها أظهروا التعجب » . وكثيرا ما يتزيا سلاطينهم وأجنادهم وأشرافهم بزى[1] النصارى المجاورين لهم ، فسلاحهم كسلاحهم ، وكذلك أقبيتهم وأعلامهم وسروجهم ومحاربتهم بالتراس والرماح الطويلة للطعن ، كما كانوا يلبسون فوق الدروع سترة قصيرة قرمزية مزركشة .

ويقال إن المسلمين الأسبان كانوا أشد خلق الله اعتناء بنظافة لباسهم وفراشهم وغير ذلك مما يتعلق بهم ، وكان منهم من لا يملك غير ما يسد به رمقه ، ولكنه مع ذلك كان يطوى يومه صائما ليبتاع صابوناً يغسل به ثيابه ، ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها .

نظرة عامة

قد عالجنا فيما تقدم شؤون قرطبة وغرناطة ، فلم يبق لدينا الآن غير الإلمام بالشؤون الإدارية ، ونوع الحكومة ، والأحوال الاقتصادية فى أسبانيا ، وكذلك مستوى الثقافة فى البلاد ونهضتها الاقتصادية .

الحكومة

كان السلطان هو الرئيس الأعلى للدولة ، وكان الوزراء كما كان الشأن فى الشرق ، يتولون إدارة الحكومة ، فقسموا الوزارة إلى أربعة أقسام اختص بكل واحد منها وزير ، وهم : (١) وزير المالية ، (٢) وزير الخارجية ، (٣) وزير إدارة القضاء والنظر فى حوائج المتظلمين ، (٤) وزير لإدارة الجيش ودفع رواتبه . ويظهر أن مستشارى السلطان كانوا يسمون أيضاً بالوزراء ، ولكنهم لأجل أن يميزوا الوزراء الذين كانوا يديرون شؤون الدولة عن أعضاء مجلس الخليفة كانوا يسمون الوزير من القسم الأول بالوزير ذى الوزارتين ، وكان كبير الوزراء يسمى « بالحاجب » وهو يتصل رأساً بالسلطان ، ويتلقى منه الأوامر ، وكانوا يجلسون فى إيوان واحد ، غير أن كرسى الرئيس كان أعلى من

(١) لعل القبعات كانت قلنسوات مصغرة الحجم ، وقد جاء فى قاموس دوزى « أن النويرى يقول بأن القلنسوة كانت مستعملة فى أسبانيا » .

كراسى بقية الأعضاء ، أما المستشارون الخاصون فكانوا كالوزراء يجلسون مع الخليفة فى إيوان الخلافة .

وكان ثمة وكلاء أو كتاب دولة من جملتهم كاتب الرسائل وكاتب الزمام ، وكان يعهد إليه العناية بالذميين ، وآخر يعهد إليه الإشراف على الحسابات العامة ويسمى « بصاحب الأشغال » ، وكان منصبه يعادل اليوم منصب « وزير المالية » ، إذ كانت وزارته تختص بقبض الدخل وفرض الضرائب وصرف النفقات ، وكان يسمى صاحب هذه الوظيفة فى مملكة غرناطة «بالوكيل» ؛ ولم يكن فى دولة غرناطة مناصب وزارية ، إذ كان يقوم الوزير بمهمة كتابة الرسائل ، بينما كان السلطان نفسه يوقع الرسائل ويختم المراسيم ، وفى عهد بنى الأحمر وبنى مرين كان عمل « صاحب الأشغال » مقتصرا على جباية الخراج .

القضاة

وكان منصب القضاء فى أسبانيا على جانب عظيم من الهيبة والوقار ، وكان قاضى القضاة يسمى « بقاضى الجماعة » .

الشرطة

وكان يسمى رئيس الشرطة فى الأندلس ، كما كان يسمى فى الشرق « بصاحب الشرطة » ، ولكنه كان أوسع نفوذا فى قرطبة ؛ غير أنه أصبح فى عهد الملوك المتأخرين « ضابط شرطة » فحسب ، وكان يسمى الحاكمان « بصاحب المدينة » ، و « صاحب الليل » يرأسهما القاضى ، أما « المحتسب » فكان يؤدى وظيفته على نحو ما يؤدونها فى مدن آسيا وأفريقيا ، فيتعين عليه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، كما كان يعزر ويؤدب ، ويراقب الغش والتدليس فى أمور المعيشة والمكاييل والموازين . وكان حراس الليل يسمون « بالدرابين » ، ومهمتهم إقفال أبواب المدينة الداخلية بعد صلاة العشاء ، وكانوا مسلحين دائماً ويحملون الفوانيس وتصحبهم كلاب الحراسة .

وكان القائد البحرى فى العصور الأولى يسمى « بأمير الماء » ، وقد أخذها

عنهم الفرنج والأسبان وحرفوها ، فقالوا « الميرانت » ، ثم أخذها عنهم العرب مشوهة باسم « الميلاند » وسمى هذا المنصب فى عهد عبد الرحمن الناصر وأخلافه بقائد الأسطول ؛ وكان الأمويون والموحدون يملكون أسطولا حربياً يبز جميع أساطيل الدول المسيحية فى النظام والاستعداد الحربى ، ولا شك أن اضمحلال سلطان العرب يعزى على الأغلب إلى ضياع تفوقهم البحرى ، كما أشار إلى ذلك ابن خلدون .

الزراعة

لم تتمتع أى دولة فى العالم بازدهار الزراعة كما تمتعت أسبانيا فى عهد العرب الذين ألموا بخواص الزراعة ، وجعلوا فلاحة الأرض علماً قائماً بذاته ، فاستطاعوا بأمثل الطرق والمهارة والعلم أن ينموا محصولاتها و يستخرجوا كنوزها ، كما عرفوا ملاءمة التربة والطقس لزرع النباتات المختلفة ، ولا ننسى أن نشير بهذا الصدد إلى أن الأسبان مدينون للعرب بإدخال زراعة الأرز وقصب السكر والقطن والزعفران والأسبيناغ ومختلف أنواع الفاكهة إلى أسبانيا التى اشتهرت بها فيما بعد ، وعنها أخذ الغرب هذه المزروعات ، كذلك استغلوا موقع كل منطقة وزرعوا فيها المزروعات الملائمة كأحراش النخيل فى ولاية بلنسية ، والأرز فى البوفيرا ، وقصب السكر والقطن فى أوليفا وكندية ؛ وكانت الكروم تبدو من أبدع ما تقع عليه العين فى شريش وغرناطة ومالقة ، بينما كانت أراضى أشبيلية والقسم الأعظم من أندلوسيا مزروعة بالزيتون ؛ وقد أقيمت فى كافة البلاد القناطر الكبيرة ، وحفرت الترع والمصارف العديدة لاستجلاب الماء وتوزيعه بالطرق الفنية ؛ وكان صنع الفولاذ فى أسبانيا مشهوراً فى كافة أنحاء العالم ، أما سيوف غرناطة فكانت تفضل على غيرها لحسن صنعها و إتقانها ؛ كذلك يقال إن العرب أدخلوا فى أسبانيا صناعة الحرير والقطن والمنسوجات الصوفية ، ومهروا بالأخص فى الصباغة ، كما اخترعوا الصباغة بالنيلة ؛ ولا يخفى أن المزهريات التى لا تزال محفوظة فى قصر الحمراء والقراميد الزاهية التى تزين تلك العمارة الفخمة تنهض دليلا على إزدهار

صناعة الخزف . أما صادراتهم فكانت تشتمل على الذهب والفضة والنحاس والحرير الخام والمصنوع ، ودودة القز والزئبق وحديد الزهر ، والحديد والزيتون والمصنوعات الصوفية ، والعنبر وصمغ العنبر ، وحجر المغنطيس ، والإثمد والطلق والبلور والزيت والسكر ، ومعدن الكبريت والزعفران والزنجبيل والمر والأدوية الأخرى ، والصدف واللؤلؤ والياقوت المستخرج من مناجم مالقة وبيجا والجمشت (حجر كريم أزرق) المستخرج بالقرب من قرطجنة .

كذلك كانوا مشهورين على الأخص بدباغة الجلود والصباغة ، وتزيين الجلود بالنقوش البارزة ؛ وقد قضى على هذه الصناعة فى أسبانيا منذ خروج العرب ، ونقلت منها إلى فاس ، ثم إلى انكلترة حيث أطلق عليها اسم الموروكو ، كما أدخلوا فى أسبانيا صناعة البارود والسكر والورق .

الفنون الجميلة

لم يهمل العرب فى أسبانيا الفنون الجميلة ، ولا مشاحة أنهم فاقوا جيرانهم النصارى فى صناعة نحت التماثيل والتلوين ، وكانت قصور الخلفاء فى قرطبة وبالأخص الزهراء مزينة بالتماثيل والألواف الجميلة ، كما تشهد تماثيل السباع والأصباغ الباقية إلى الآن فى قصر الحمراء تطور هذين الفنيين فى غرناطة ؛ ولم تخل المدن الصغيرة الأسبانية من الكليات أو المدارس ، بينما كان للمدن الكبيرة الأخرى أمثال قرطبة ومالقة وأشبيلية وسرقوسة ولشبونة وجيان وسلمنقة جامعات تتمتع بمركز ممتاز فى جميع أنحاء العالم .

ومن جملة المؤرخين الذين تألق نجمهم فى سماء أسبانيا الإسلامية : ابن حيان[١] وابن العبار[٢] وأبو عبد الله البكرى ، وابن البشكوال (أبو القاسم خلف[٣] بن عبد الملك بن مسعود بن موسى) ، وابن السعيد (أبو الحسن على[٤]) ، والأشقندى

(١) ألف كتابين فى تاريخ أسبانيا واحداً فى عشر مجلدات والآخر فى ستين مجلداً .
(٢) توفى سنة ١٠٧٦ م .
(٣) ولد فى قرطبة سنة ١١٠١ م وتوفى سنة ١١٨٣ م .
(٤) ولد فى غرناطة سنة ١٢١٤م وتوفى سنة ١٢٨٦ — ١٢٨٧م ودرس فى أشبيلية .

(أبو الوليد إسماعيل من أهل أشقونده[١]) ، وابن الخطيب (لسان الدين[٢]) .

أتينا فيما تقدم على ذكر شاعرات قرطبة وأديباتها ، ونستعرض الآن أسماء زميلاتهن فى غرناطة وهن : حسانة التميمية ابنة أبى الحسن الشاعر المشهور ، وأم العلا التى تألق نجمها فى القرن السادس الهجرى فى وادى الحجارة ، وأمة العزيز وقد لقبت بالشريفة لشرف نسبها ، والغسانية من أهالى باجينة التى نبغت فى القرن الخامس ، والعاروزية وقد اشتهر اسمها وذاع صيتها فى بلنسيه فى البلاغة والنحو ، وتوفيت فى دينية سنة ٤٥٠ هـ ، وحفصة الراقونية المشهورة بقسامتها وحدة ذكائها ونبل محتدها وواسع ثروتها ، وقد تألق نجمها فى دولة الموحدين ، وابنة حمدون من أهالى وادى الحجارة وكانت من أشهر شاعرات عصرها ، وزينب المرابية من وادى عاش ، ومريم بنت أبى يعقوب الأنصارى من أشبيلية ، وكانت أديبة شاعرة جمعت إلى حسن الصفات غزارة العلم ومتانة الأخلاق ، وعلى هذا اجتمع حولها كثيرات من طالبات العلم ، وقد توفيت فى أواخر القرن الرابع ؛ ومن جملة اللواتى تألق نجمهن أسماء العامرية من أشبيلية ، وأم الهنا بنت القاضى أبى محمد عبد الحق بن عطية الفقيهة المشهورة ، وبهجة من قرطبة وهى صديقة الولادة ابنة المستكفى ، وكانت قد اشتهرت بقسامتها ورقة شمائلها ؛ أما ثينة زوجة المعتمد وابنته فكانتا تحتلان أسمى مكانة بين العلماء والأدباء . ولعل هذا الوصف لأسبانيا المسلمة لايبدو كاملا مالم نضف إليه أسماء الأطباء والفلاسفة الممتازين الذين ألقوا شعاعا ساطعاً على الأندلس وهم :

« أبو بكر محمد » بن يحيى الملقب بابن الصائغ المعروف بابن باجه وهو من سرقوسة ، وقد نبغ فى الطب والفلسفة والرياضيات والفلك ، وكانت له فوق ذلك دراية واسعة بالموسيقى ، وتوفى فى فاس سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م) .

---

(١) توفى سنة ١٢٣١ — ١٢٣٢ م .

(٢) ولد سنة ١٣١٣ م وكان وزيراً ليوسف أبى الحجاج سابع ملوك غرناطة وقتل سنة ١٣٧٤ م متهما بالخيانة .

وابن طفيل (أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل) وكان من أشهر فلاسفة العرب فى أسبانيا ، ولد فى وادى عاش ، وتوفى فى مراكش سنة ١١٨٥ م واشتهر بالطب والرياضيات والفلسفة والشعر ، وكان أبو يعقوب يوسف ثانى ملوك دولة الموحدين ممن يعرف قدره ، والمأثور أن يعقوب المنصور بن يوسف وولى عهده اشترك فى تشييع جنازته ، ولعل كتاب « حى بن يقظان » الذى يعد أول كتاب فى الفلسفة الطبيعية هو أشهر كتبه على وجه الإطلاق .

وابن زهر ، وكان من أهالى أشبيلية من عائلة اشتهرت بالعلم والسياسة ، ونبغ منها الأطباء والعلماء والوزراء ، وحاز الكثير منهم مناصب رفيعة ، وتمتعوا برضاء الملوك ، وكان أكبر أطباء أبى يوسف يعقوب المنصور وتوفى سنة ٥٩٥ هـ (١١٩٩ م) .

وابن رشد[1] (أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد) ولد سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) وقد شغل جده وأبوه منصب قضاء الأندلس فى دولة المرابطين ، وكان صديقاً حميماً لأبى مروان بن زهر وابن طفيل ، وقد قدمه الأخير إلى « يعقوب بن يوسف » الذى عينه قاضياً لأشبيلية سنة ١١٠٩م ، وفى سنة ١١٨٢ عين قاضياً فى قرطبة ، وتوفى فى ٩ صفر سنة ٥٩٥ (كانون الأول سنة ١١٩٨) .

---

(١) يقول البارون كارا دى ڤو Carra De vaux فى مقاله عن ابن رشد فى دائرة المعارف الإسلامية : « إن الإعجاب بشروح ابن رشد كان عظيما حتى بين رجال الدين الذين كانوا يرون فى مذهبه خطراً يهدد العقيدة » . (المعرب)